لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته"[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ ٢البقرة:٢٥٦.

Paragraph الفَقْرَة

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٢البقرة:٢٥٦و٢٥٧.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿لَا إِكْرَاهَ﴾، ﴿فِي الدِّينِ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

There is no compulsion in religion. Verily, the Right Path has become distinct from the wrong path; so whosoever refuses to be led by those who transgress and believes in ALLAH, has surely grasped a strong handle that will never break.

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

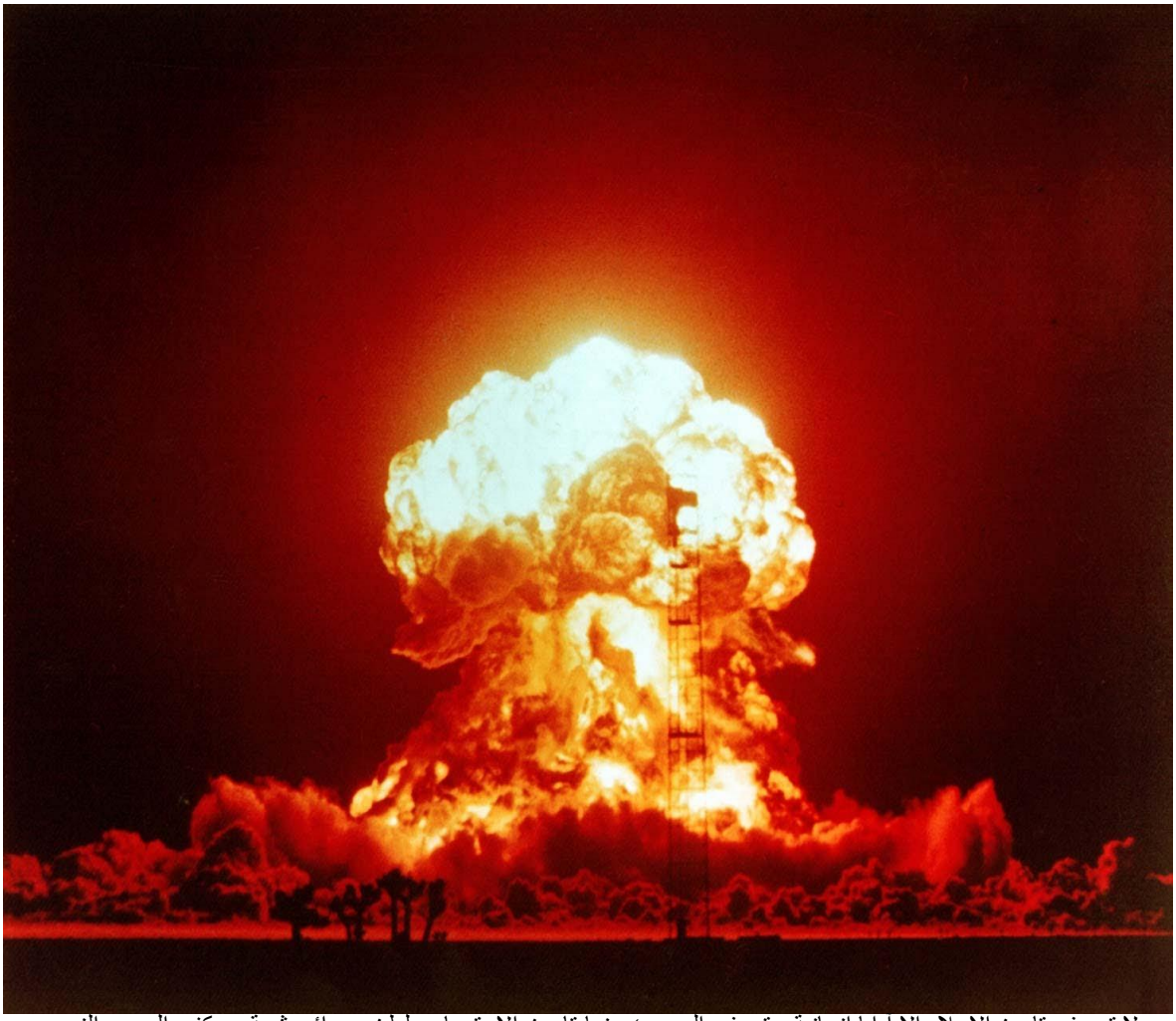

لا تجد في تاريخ الإسلام إلا ادابا إنسانية حتى في الحرب؛ بينما تاريخ الاستعمار ملطخ بجرائم بشعة، ويكفي الهجوم النووي على هيروشيما وناجازاكي عام ١٩٤٥ حيث قضى في لحظة على آلاف الأبرياء أطفالا وشيوخا ونساء وتم تشويه كل البقية.

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ٢البقرة:٢٥٦؛ نص كافي لدفع الاتهام الباطل بأن إرغام الناس بالعنف أساسه القرآن، ولا شك أن الاعتداء على الأبرياء يرفضه الإسلام حتى ولو كان مجرد ترويع لآمن؛ فما بالك بالقتابل الذكية والذرية!، وإذا أردت أن تعرف أغراض الحرب وآدابها فسيكفيك أن تطالع القرآن الكريم بنفسك وتقارنه بما فعل المستعمرون من إبادة عنصرية واستهانة بمدنيين أبرياء، أبادتهم وشوهت من بقي حيا عندما ألقت طائراتهم الغازيَة قنبلتين نوويتين؛ ناهيك عن أسلحة إبادة جماعية تستخدم اليوم ضد المسلمين بذريعة الإرهاب، لكن غرض الحرب في الإسلام الدفاع ورد الاعتداء؛ لا العدوان، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوَاْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٢البقرة:١٩٠، وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفّرَنّ عَنْهُمْ سَيّئَاتِهِمْ﴾ ٣آل عمران:١٩٥، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ ٩التوبة:٣٦، وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنّ اللهَ عَلَىَ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقّ﴾ ٢٢الحج:٣٩و٤٠، وفي كل تلك النصوص تجد علة القتال دفع العدوان والتهجير والظلم، ففي قوله تعالى (يُقَاتَلُونَ) وقوله (بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) وقوله (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقّ) بيان للشروط المسوّغة للحرب في الإسلام تحمل عليها أمثالها في كل زمان، وأي دعوة سلام يا ترى كدعوة الإسلام إلى بر الأقارب غير المسلمين ووصالهم!؛ قال تعالى: ﴿لاّ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرّوهُمْ وَتُقْسِطُوَاْ إِلَيْهِمْ إِنّ اللهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ٦٠الممتحنة:٨.

ظلت المنطقة العربية تحت السيطرة الرومانية سبعة قرون؛ إلى أن استردها المسلمون وحرروا الناس من نير العبودية في معركة اليرموك عام ٦٣٦م، فمن كان المعتدي ابتداءً! وهل هدم المسلمون يومئذٍ صومعة أو كنيسة!.

استمع إلى ربعي بن عامر مخاطبًا بعزة رستم قائد جيش الفرس: "نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام".

وأي دعاية كاذبة تلك؛ أن القرآن الكريم يدعو لإجبار الناس بحد السيف ويكرههم لدخول الإسلام، بينما القرآن الكريم يعلن بجلاء أنه لا إكراه في الدين، ولكن المغرضون قد أَبَوْا إلاَّ أن يمضوا في مخطط التغريب والعلمانية وتأجيج نيران الطائفية وتغليب الأقلية، والغرض محو الهوية الإسلامية وتحويل المسلمين إلى رعايا وعبيد؛ فكيف يسمعون وقد صموا الآذان!، قال أبو شهبة: "إن الإسلام إنما غزى القلوب وأسر النفوس بسماحة تعاليمه في العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات، وآدابه في السلم والحرب، وسياسته الممثلة في عدل الحاكم وإنصاف المحكومين، والرحمة الفائقة والإنسانية المهذبة في الغزوات والفتوح، إنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ فلا عجب أن أسرعت إلى اعتناقه النفوس واستجابت إليه الفطرة السليمة وتحملت في سبيله ما تحملت، فاستعذبت العذاب واستحلت المر واستسهلت الصعب وركبت الوعر، وضحت بكل عزيز وغالٍ في سبيله..، (و) إن تشريع الجهاد في الإسلام لم يكن لإرغام أحد على الدخول في الإسلام كما زعموا؛ وإنما كان للدفاع عن العقيدة وتأمين سبلها ووسائلها وتأمين المعتنقين للإسلام، وردِّ الظلم والعدوان، وإقامة معالم الحق، ونشر عبادة الله في الأرض، فلما تمالأ المشركون على المسلمين أمرهم الله بقتالهم عامة..، قال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾؛ قال: كان رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين لا يكره أحداً في الدين؛ فأبى المشركون إلا أن يقاتلوه، فاستأذن الله في قتالهم فأذن له، ومعنى: ﴿لا إكراه في الدين﴾؛ أي دين الإسلام ليس فيه إكراه عليه، وقال سبحانه: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىَ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٠يونس:٩٩، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ١٨الكهف:٢٩، فالآية نص في أن من اختار الإيمان فباختياره ومن اختار الكفر فباختياره فلا إكراه، ولكن مع هذا التخيير فالله سبحانه يحب الإيمان ويرضاه ويدعو إليه، ويكره الكفر ويحذر منه، ونصوص القرآن حافلة في هذا المعنى..، فالآية بنصها تخيير؛ ولكنه تخيير يستلزم تهديداً ووعيداً لا محالة؛ في حال اختيار الكفر على الإيمان، وهي نصوص صريحة في عدم الإكراه على الإسلام، فهل بعد هذه الحجج الدامغة يتقوَّل متقوِّل على الإسلام زاعماً أنه قام على السيف والإكراه!"[٣]، وأما قوله تعالى: ﴿وَأَعِدّواْ لَهُمْ مّا اسْتَطَعْتُمْ مّن قُوَّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوّ اللهِ وَعَدُوّكُمْ﴾ ٨الأنفال:٦٠؛ فلا مستند فيه لمصطلح الإرهاب الذي تسوقه الأبواق اليوم ذريعة للعدوان وتمزيق بلاد المسلمين؛ لأن النص الكريم لا يدعو للاعتداء، وإنما يُنَبِّه إلى أن سهام المُتَرَبِّصين غادرة لا تؤمن؛ ويدعو إلى ترهيب الأعداء حتى لا يعتدوا على رعايا بلاد الإسلام.

[٣] السيرة النبوية للشيخ محمد أبو شهبة.

أكبر عملية إبادة جماعية ومجازر مروعة في التاريخ لشعوب الهنود الحمر الذين استقبلوا الغزاة بالهدايا مسالمين.

وإذا أردت أن تُقارن هذه الأخلاق الإنسانية في الإسلام بما فعلوه؛ فسيهولك ما وقع خلال الحروب الصليبية من فظائع، وما وقع في تاريخ الهنود الحمر حتى أبيدوا واحتلت أرضهم؛ مهددين بالمدافع وبمخالفة المسيح عليه السلام إن هم هموا وحملوا حجرًا للدفاع، واليوم حلال للتنصير أن يستبيح البلدان الإسلامية مستغلا الضعفاء؛ حرام على المسلم التفوه وإلا أدت به تهمة الأصولية للهلاك، ولكن بالأخلاق الإنسانية قد حارب المسلمون على مر التاريخ أكثر من عدو تفوق عليهم في العدد والعدة وكان نصر الله حليفهم، قال د. إحسان هندي: "يعترف بهذا الفضل صراحة كثير من الكتاب والمفكرين والفقهاء الأوروبيين المعاصرين مثل البارون دوتوب De Taube في محاضرة له ألقاها في أكاديمية القانون الدولي بلاهاي عام ١٩٢٦ وبالحرف الواحد: (إن أهمية الإسلام عموماً في تطوير الحضارة ضمن حوض البحر الأبيض المتوسط تجعلنا نقبل الاعتراف بأن العالم الإسلامي قد ساهم بتشكيل بعض نظم قانون الحرب وعاداته بين شعوب أوروبا، حيث أن هذه الشعوب وجدت لدى أعدائها الذين ناصبتهم العداء أثناء الحروب الصليبية قواعد جاهزة تتعلق بإعلان الحرب والتمييز بين المقاتلين وغير المقاتلين، ومعاملة المرضى والجرحى وأسرى الحرب وتقسيم الغنائم الحربية، ومنع بعض وسائل الإضرار بالعدو)، وأوضح مثال على ذلك نجده في سلوك السلطان صلاح الدين الأيوبي في معاملته لأسرى الحرب الصليبيين..، وأوجز الخليفة أبو بكر عندما صاغ أهم مبادئ القانون الإنساني المعاصر في وصيته التي وجهها إلى قائده أسامة بن زيد حين قال مخاطباً إياه وجنده: (أيها الناس قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا وتغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكل، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع؛ فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)"[٤].

ولك أن تتأمل الدعوة إلى الرحمة بالأسير في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىَ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ ٧٦الإنسان:٨، وروي عن النبي ﷺ النهى عن قتل النساء والصبيان، ونص الفقهاء أن من لا يقاتل لا يجوز قتله لأنهم في حكم النساء والصبيان كالأعمى والمعتوه والمقعد والفلاحين وأصحاب الصوامع، وإذا لم تكن معاقل فلا يجوز قطع الشجر وتخريب العامر كالبيوت وقتل المواشي والتحريق؛ فأين هذا مما يمارسه العنصريون اليوم! إن في ذلك شهادة كافية للإسلام بالسبق في مجال أخلاق الحرب؛ قبل أن تُبرم حديثا الاتفاقيات الدولية المنظمة للحرب في مؤتمري لاهاي للسلام عامي ١٨٩٩م و١٩٠٧م وقبل اتفاقيات جنيف عام ١٩٤٩م لحماية ضحايا الحرب!.

---

٤ مقال للدكتور إحسان هندي في المجلة الدولية للصليب الأحمر بعنوان أثر الثقافة والأخلاق والدين في القانون الدولي الإنساني، والنص الأصلي بالفرنسية ضمن مقال للدكتور ادمون رباط يحمل عنوان: La Theorie du Droit International musulman" Revue Egyptienne du Droit International.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال الماوردي: "{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}.. ذلك في أهل الكتاب، لا يُكْرَهُون على الدين إذا بذلوا الجزية؛ قاله قتادة..، (أو): أنها نزلت في الأنصار خاصة، كانت المرأة منهم.. لا يعيش لها ولد، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّده..، وهذا قبل الإسلام، فلما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالت الأنصار: كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس..، (أو): أنها منسوخة بفرض القتال؛ قاله ابن زيد"[٥].

وفي تفسير الجلالين: "{لَا إكْرَاه فِي الدِّين} عَلَى الدُّخُول فِيهِ {قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْد مِنْ الْغَيّ} أَيْ ظَهَرَ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَات أَنَّ الْإِيمَان رُشْد وَالْكُفْر غَيّ..، {فَمَنْ يَكْفُر بِالطَّاغُوتِ} الشَّيْطَان أَوْ الْأَصْنَام وَهُوَ يُطْلَق عَلَى الْمُفْرَد وَالْجَمْع {وَيُؤْمِن بِاَللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ} تَمَسَّكَ {بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} بِالْعَقْدِ الْمُحْكَم؛ {لَا انْفِصَام} انْقِطَاع {لَهَا وَاَللَّه سَمِيع} لِمَا يُقَال {عَلِيم} بِمَا يُفعل"[٦].

وقال ابن عاشور: "اسْتِئْنَاف بياني نَاشِئٌ عَنِ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢البقرة:٢٤٤، إِذْ يَبْدُو لِلسَّامِعِ أَنَّ الْقِتَالَ لِأَجْلِ دُخُولِ الْعَدُوِّ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَبُيِّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ لَا إِكْرَاهَ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ..، وَتَعْقِيبُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ بِهَاتِهِ الْآيَةِ بِمُنَاسَبَةِ أَنَّ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ السَّابِقَةُ مِنْ دَلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَعَظَمَةِ الْخَالِقِ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ شَوَائِبِ مَا كَفَرَتْ بِهِ الْأُمَمُ، مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَسُوقَ ذَوِي الْعُقُولِ إِلَى قَبُولِ هَذَا الدِّينِ الْوَاضِحِ الْعَقِيدَةِ، الْمُسْتَقِيمِ الشَّرِيعَةِ، بِاخْتِيَارِهِمْ دُونَ جَبْرٍ وَلَا إِكْرَاهٍ، وَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْعَلَ دَوَامَهُمْ عَلَى الشِّرْكِ بِمَحَلِّ السُّؤَالِ: أَيَتْرُكُونَ عَلَيْهِ أَمْ يُكْرَهُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَكَانَتِ الْجُمْلَةُ اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا، وَالْإِكْرَاهُ الْحَمْلُ عَلَى فِعْلٍ مَكْرُوهٍ..، وَالدِّينُ.. هُوَ هَنَا مُرَادٌ بِهِ الشَّرْعُ، وَالتَّعْرِيفُ فِي الدِّينِ لِلْعَهْدِ؛ أَيْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَنَفْيُ الْإِكْرَاهِ خَبَرٌ فِي مَعْنَى النَّهْيِ، وَالْمُرَادُ نَفْيُ أَسْبَابِ الْإِكْرَاهِ فِي حُكْمِ الْإِسْلَامِ، أَيْ لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا عَلَى اتِّبَاعِ الْإِسْلَامِ قَسْرًا..، دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى إِبْطَالِ الْإِكْرَاهِ عَلَى الدِّينِ بِسَائِرِ أَنْوَاعِهِ، لِأَنَّ أَمْرَ الْإِيمَانِ يَجْرِي على الِاسْتِدْلَال، والتمكين مِنَ النَّظَرِ، وَبِالِاخْتِيَارِ، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ قِتَالُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»..، فَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَاسْتِخْلَاصِ بِلَادِ الْعَرَبِ..، فَلَمَّا تَمَّ مُرَادُ اللَّهِ مِنْ إِنْقَاذِ الْعَرَبِ مِنَ الشِّرْكِ وَالرُّجُوعِ بِهِمْ إِلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَمِنْ تَخْلِيصِ الْكَعْبَةِ مِنْ أَرْجَاسِ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنْ تَهْيِئَةِ طَائِفَةٍ عَظِيمَةٍ لِحَمْلِ هَذَا الدِّينِ وَحِمَايَةِ بَيْضَتِهِ، وَتَبَيَّنَ هَدْيُ الْإِسْلَامِ وَزَالَ مَا كَانَ يَحُولُ دُونَ اتِّبَاعِهِ مِنَ الْمُكَابَرَةِ، وَحَقَّقَ اللَّهُ سَلَامَةَ بِلَادِ الْعَرَبِ مِنَ الشِّرْكِ كَمَا وَقَعَ فِي خُطْبَةِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»، لَمَّا تَمَّ ذَلِكَ كُلُّهُ أَبْطَلَ اللَّهُ الْقِتَالَ عَلَى الدِّينِ وَأَبْقَى الْقِتَالَ عَلَى تَوْسِيعِ سُلْطَانِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ..: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ٩التوبة:٢٩، وَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْآيَةُ نَاسِخَةً لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ آيَاتِ الْقِتَالِ؛ مِثْلِ قَوْلِه قبلها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ ٩التوبة:٧٣، عَلَى أَنَّ الْآيَاتِ النَّازِلَةَ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا أَنْوَاعٌ ثَلَاثَةٌ؛ (أَحَدُهَا): آيَاتٌ أَمَرَتْ بِقِتَالِ الدِّفَاعِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ ٩التوبة:٣٦، وَقَوْلِهِ: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ٢البقرة:١٩٤، وَهَذَا قِتَالٌ لَيْسَ لِلْإِكْرَاهِ عَلَى الْإِسْلَامِ بَلْ هُوَ لِدَفْعِ غَائِلَةِ الْمُشْرِكِينَ، (النَّوْعُ الثَّانِي): آيَاتٌ أَمَرَتْ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَالْكُفَّارِ وَلَمْ تُغَيَّ بِغَايَةٍ؛ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

---

[٥] الماوردي؛ النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت (١١ ٣٢٧).

[٦] جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٥٦).

إِطْلَاقُهَا مُقَيَّدًا بِغَايَةِ آيَةِ: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ٩التوبة:٢٩، وَحِينَئِذٍ فَلَا تُعَارِضُهُ آيَتُنَا هَذِهِ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، (النَّوْعُ الثَّالِثُ): مَا غُيِّيَ بِغَايَةٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ٢البقرة:١٩٣، فَيَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ مَنْسُوخًا بِهَاتِهِ الْآيَةِ؛ وَآيَةِ: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ٩التوبة:٢٩، كَمَا نُسِخَ حَدِيثُ «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ»، هَذَا مَا يَظْهَرُ لَنَا فِي مَعْنَى الْآيَةِ..، وَلِأَهْلِ الْعِلْمِ قَبْلَنَا فِيهَا قَوْلَانِ؛ (الْأَوَّلُ): قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَسُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ ٩التوبة:٧٣، فَإِنَّ النَّبِيَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْرَهَ الْعَرَبَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَقَاتَلَهُمْ وَلَمْ يَرْضَ مِنْهُمْ إِلَّا بِهِ..، (الْقَوْلُ الثَّانِي): إِنَّهَا مُحْكَمَةٌ وَلَكِنَّهَا خَاصَّةٌ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَقَتَادَةُ وَالْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ هِيَ خَاصَّةٌ بِأَهْلِ الْكِتَابِ فَإِنَّهُمْ لَا يُكْرَهُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ إِذَا أَدَّوُا الْجِزْيَةَ؛ وَإِنَّمَا يُجْبَرُ عَلَى الْإِسْلَامِ أَهْلُ الْأَوْثَانِ، وَإِلَى هَذَا مَالَ الشَّافِعِيُّ؛ فَقَالَ: إِنَّ الْجِزْيَةَ لَا تُؤْخَذُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ..، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْأَنْصَارِ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مِنْهُمْ مِقْلَاتًا- أَيْ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ- تَنْذُرُ إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ تُهَوِّدَهُ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَأَسْلَمُوا كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ يَهُودًا؛ فَقَالُوا: لَا نَدَعُ أَبْنَاءَنَا بَلْ نُكْرِهُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وَقَالَ السُّدِّيُّ: نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو حُصَيْنٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ بْنِ عَوْفٍ وَلَهُ ابْنَانِ، جَاءَ تُجَّارٌ مِنْ نَصَارَى الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَدَعَوْهُمَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ فَتَنَصَّرَا وَخَرَجَا مَعَهُمْ، فَجَاءَ أَبُوهُمَا فَشَكَا لِلنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَلَبَ أَنْ يَبْعَثَ مَنْ يَرُدُّهُمَا مُكْرَهَيْنِ؛ فَنَزَلَتْ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وَلَمْ يُؤْمَرْ يَوْمَئِذٍ بِالْقِتَالِ ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِآيَاتِ الْقِتَالِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِنَفْيِ الْإِكْرَاهِ نَفْيُ تَأْثِيرِهِ فِي إِسْلَامِ مَنْ أَسْلَمَ كُرْهًا فِرَارًا مِنَ السَّيْفِ، عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ٤النساء:٩٤، وَهَذَا الْقَوْلُ تَأْوِيلٌ فِي مَعْنَى الْإِكْرَاهِ وَحَمْلٌ لِلنَّفْيِ عَلَى الْإِخْبَارِ دُونَ الْأَمْرِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالدِّينِ التَّوْحِيدُ.. وَإِنَّ نَفْيَ الْإِكْرَاهِ نَهْيٌ، وَالْمَعْنَى لَا تُكْرِهُوا السَّبَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِأَنَّهُنَّ أَهْلُ دِينٍ وَأَكْرِهُوا الْمَجُوسَ مِنْهُمْ وَالْمُشْرِكَاتِ، وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾؛ وَاقِعٌ مَوْقِعَ الْعِلَّةِ لِقَوْلِهِ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.. والرشد.. الْهُدَى وَسَدَادُ الرَّأْيِ، وَيُقَابِلُهُ الْغَيُّ وَالسَّفَهُ وَالْغَيُّ الضَّلَالُ.. وَإِنَّمَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ بِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَظُهُورِهِ فِي بَلَدٍ مُسْتَقِلٍّ بَعْدَ الْهِجْرَةِ"[٧].

[٧] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٣\ ٢٥).

الحَقْل العِلْمِي Scientific Field

Theology

أديان

المَوْضُوع Subject

War Ethics

آداب الحرب في الإسلام

نُصُوص مُتَعَلِّقَة Related Texts

- **﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوَاْ إِنّ اللهَ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٢البقرة:١٩٠.**
- **﴿فَالّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفّرَنّ عَنْهُمْ سَيّئَاتِهِمْ﴾ ٣آل عمران:١٩٥.**
- **﴿وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفّةً﴾ ٩التوبة:٣٦.**
- **﴿أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنّ اللهَ عَلَىَ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقّ﴾ ٢٢الحج:٣٩و٤٠.**
- **﴿لاّ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرّوهُمْ وَتُقْسِطُوَاْ إِلَيْهِمْ إِنّ اللهَ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ٦٠الممتحنة:٨.**
- **﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّىَ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٠يونس:٩٩.**
- **﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ١٨الكهف:٢٩.**
- **﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ١٠٩الكافرون:٦.**
- **﴿وَأَعِدّواْ لَهُمْ مّا اسْتَطَعْتُمْ مّن قُوّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوّ اللهِ وَعَدُوّكُمْ﴾ ٨الأنفال:٦٠.**
- **﴿وَيُطْعِمُونَ الطّعَامَ عَلَىَ حُبّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ ٧٦الإنسان:٨.**